الفصل الثالث
علاقة خلفاء الدولة العثمانية بأهل التكايا

تمهيد:

الدولة العثمانية دولة ذات نطاق واسع من الناحية التاريخية والجغرافية،والعلمية، والدينية،وأيضاً من حيث الجهاد حيث فاقت أى دولة إسلامية فى محاربة المسيحية خاصة فى أوربا وآسيا الصغرى. وهى دولة ذات حصن فى فتوحاتها.

الدولة العثمانية أطول دولة فى التاريخ عدلا، وعلما،وحضارة،وفتوحات، وتعتبر فخرا لدولة الإسلام يعتز بها كل من يحب دينه وحضارته وماضيه العريق.

وكان للتكايا الأثر الواضح الذى تعتمد عليه الدولة العثمانية فى كثير من نواحيها المختلفة سواء فى الجهاد والفتوحات الإسلامية،أو أسلمة كثير من المدن ونشر الإسلام فيها، والاستعانة برجالها فى إقامة الجامعة الإسلامية،أو أسلمة كثير من المدن ونشر الإسلام فيها،والاستعانة برجالها فى إقامة الجامعة الإسلامية والتدريس بها، والاعتماد على رجالها فى بناء الحضارة وعمارة المساجد التى توجد حاليا بتركيا بفنها الخالد العريق وقد قام رجال التكايا والزوايا بالدفاع عن الإسلام جهادا وغزوا بفتح أواسط آسيا،وآسيا الصغرى،وفتح أفريقيا،وغزو أوربا.

واستعين بأهل التكايا فى محاربة رؤوس المسيحية المنصرين [١] وذلك بالرد عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة والدفاع عن الإسلام ومن يسئ إليه.

نتعرض فى هذا الفصل إلى الحديث عن الدولة العثمانية وعلاقتهم بأهل التكايا بتركيا وخاصة الموقف العجيب من تقرب أهل التكايا إلى السلاطين العثمانيين وحبهم للعلم والعلماء،وأهل التكايا خاصة، من أجل خدمة الإسلام.

(١) لايجوز أن نطلق لفظ المبشرين على الحملات التنصيرية،لأن التبشير فى الإسلام فقط.

المبحث الأول
نشأة العثمانيين

نشأت الدولة العثمانية فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى بآسيا الصغرى.

كانت توجد قبيلة تسمى "قايى" [١] اضطرت إلى الهجرة قرب الأناضول بعد اجتياح المغول منطقة "تركستان" وتمت الهجرة لهم على مدار عشر سنوات، وكان رئيسهم يدعى "كوندوزالب" ولما توفى تولى ابنه "أرطغرل" على قومه وباشتراكهم مع سلطان "قونية" السلجوقى، وانتصارهم على "خوارزم شاه" خاقان تركستان، نسب النصر إلى "أرطغرل" وقبيلته ومن هذه اللحظة كان لهم مكانة هامة فى حياة سلطان "قونية" حيث أعطاهم الكثير من الأراضى السلجوقية الواقعة فى الجهة الغربية من الدولة.

وهكذا تستمر الانتصارات لهذه القبيلة على أعداء السلجوقيين وازداد نفوذ "أرطغرل" حيث منح "لقب بك".

---

(١) تقع قبيلة "قايى" فى جنوب صحراء "قارقورم" بشمال خرسان .انظر: محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة مرجع سابق، ص٩.

وأخذ "عثمان بن ارطغرل" [١] الكثير من أراضى البيزنطيين،ويضيفها إلى إمارته،ولقب الأمير"عثمان"بلقب"الغازى".

وفى عام ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م أسس الأمير "عثمان بن أرطغرل الإمارة العثمانية فى غرب الأناضول ومن هنا بدأت تحركاتهم فى الفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعت دولتهم.

ومن هذا المكان الذى استقر فيه"عثمان" بدأت القبائل التركية تنزح عليها فى فترات متباعدة حينا ومتقاربة حينا أخر من مناطق الأستبس فى آسيا. [٢]

نسب آل عثمان:

اختلف المؤرخون حول نسب العثمانيين،فمنهم من قال:أنهم ينتمون إلى بلاد الحجاز،وأن "عثمان"فر إلى "قرمان "،وكان من صفاته أنه قوياً شجاعاً،فسار فى خدمة السلاجقة فسار على طريقتهم وتكلم لغتهم وصارله اعوان واتباع وجيش. [٣]

وقيل:أن أصلهم من الجراكسة من أولاد يافث بن نوح. [٤]

---

(١) لقب الأمير"عثمان " بـ فخر الدين،ومعين الدين. انظر: ماجدة مخلوف،الخلافة فى خطاب أتاتورك ،مرجع سابق،ص٩.

(٢) محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق،ص٩. وانظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثمانى،ط٢،القاهرة ١٩٩٣،ص١٠.

(٣) محمد أحمد بن إياس الحنفى ،بدائع الزهور فى وقائع الدهور،ج ٥،ط٢ القاهرة ١٩٨٢ ،ص٣٦٤.

(٤) إسماعيل سر هنك،تاريخ الدولة العثمانية،بيروت ١٩٨٨ م،ص٨

وقيل:أن العثمانيين ينتسبون إلى أبى مسلم الخراسانى. [١]

وذكر المؤرخ التركى محمد فؤاد كوبريلى:أنهم ينسبون إلى قبيلة "قابى" ولكن الكثير من العلماء يؤكدون أن النواة الأولى للدولة العثمانية "عنصر غربى" أى تركمانى لا يختلف عن أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة. [٢]

ومن الأسماء التى أطلقت عليهم" دولت عليه" أى الدولة العلية، وأطلق عليهم اسم "سلطنة سنية"وتعنى السلطة السنية،وأطلقوا عليها بعد اتساع دولتهم فى أوربا وآسيا وأفريقيا" إمبراطور لق عثمانلى"أى الأمبراطورية العثمانية وينسب هذا الاسم إلى مؤسس دولتهم الأول "عثمان الأول" وبعد ذلك تمسك العثمانيون بهذا الاسم،واعتزوا به ومن منطلق هذا الاسم عرفت بالدولة العثمانية. [٣]

العوامل التى ساعدت على قيام الدولة العثمانية:

توجد عوامل كثيرة ساعدت على قيام الدولة العثمانية ونهوضها اجتماعيا وتاريخيا منها:

١-وفود قبائل"قايى"على الأناضول على الفتوحات السلجوقية بصفات مستمرة.

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى،قيام الدولة العثمانية،ص ١١٨ .

(٢) محمد أحمد بن إياس الحنفى،مرجع سابق،ص٣٦٥ .

(٣) عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج١ مطبعة القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،عام ١٩٨٠ ،ص١١.

٢-التوسع الهائل الذى قام به "عثمان الأول" فى بداية وجوده فى شمال غرب الأناضول على الحدود التركية.

٣-انشغال البيزنطيين بالفتنة الداخلية فى سيطرتهم ،وخاصة مع أعدائهم "كرميان"،فسقط الكثير من الإمارات الخاضعة للدولة البيزنطية تحت سيطرة "عثمان الأول". [١] عاصمتهم، وفى بلاد البلقان الخاضعة تحت

٤-تعمير الأماكن الخالية التى يتركها أهل "تراقيا"الفارين أمام الزحف العثمانى.

٥-الإيمان الشديد بالجهاد،وأنهم يجاهدون فى سبيل الله من أجل إعلاء كلمته.

٦-تحقيق وصية [٢] "عثمان الأول" التى وصاها لابنه من بعده وهو العمل على إقامة العدل والإيمان بالله، والجهاد فى سبيله.

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى،قيام الدولة العثمانية،ص١٨٣ ، ١٨٤.

(٢) وصية عثمان جاء فيها "يا بنى أحط من أعطاك بالإعزاز وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك، واياك ان تبتعد عن أهل الشريعة،يا بنى اياك ان تشتغل بأمر لم يأمر به الله رب العالمين.وإذا واجهتك فى الحكم معضلة فاتخذ من مشورة الدين موئلا.يا بنى: إنك تعلم أن غايتنا هى إرضاء الله رب العالمين،وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الأفاق ،فتحدث مرضاة الله جل جلاله.يا بنى: لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم، أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا، وللإسلام نموت وهذا يا ولدى ما أنت له.وكانت هذه الوصية النموذج الذى إجتزى به العثمانيون،

٧-حسن المعاملة التى كانت يعاملها عثمان الأول لأهل البلاد التى كان يفتحها هو وجنوده مما جعل كثير من الناس وأهل هذه البلاد يقومون بحب " عثمان" وإعطاه الولاء له ضد أى دخيل عليهم ضد الدولة العثمانية. (١)

٨-تثبيت أقدام العثمانيين فى بلاد "البلقان"بعد استيلائهم على الأراضى البيزنطية.

٩-الزواج من الأجنبيات، واختلاطهم بالروس والصرب وغيرهم. (٢)

١٠ - امتدت الفتوحات الإسلامية على يد العثمانيين فى ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوربا، وأولهم المؤسس الأول لدولة آل عثمان- عثمان الأول- واتخذ مدينة "يكى شهر" (٣) عاصمة له.كما اتخذ الراية التى كانت رمزا لهم ولدولتهم والتى لا تزال حتى زمننا الحاضر تشكل العالم التركى المؤلف من الهلال والنجمة. (٤)

واهتموا بحياتهم العلمية والدينية،وإنشاء الجيش، واحترام العلماء والجهاد فى سبيل الله.انظر: محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق ص٤٢.

(١) أمين شاكر وآخرون،تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك،دائرة المعارف،القاهرة،ص١٣.

(٢) عبد العزيز الشناوى مرجع سابق،ص٤٠.

(٣) "يكى شهر" مدينة فى وسط تركيا غربى مدينة قونية.انظر: على حسون،تاريخ الدولة العثمانية،المكتب الإسلامى،ط٣،عام ١٩٨٣م القاهرة ،ص١٥.

(٤) على حسون،مرجع سابق،ص ١٥ .

المبحث الثانى
ارتباط السلاطين بأهل التكايا

كانت نشاطات تأسيس الدولة العثمانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتشكيلات الصوفية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ووجدت الصداقات،وعلاقة الغرب بين رجال الدولة، وبين مشايخ الطرق الصوفية،واستمرت العلاقة هذه مع العلماء،وتقديم الحب والاحترام لأهل الطرق. (١)

وكان الحكام يعدون معرفة العلماء المتصوفة شرفا لهم- أى الحكام- وكانوا يقبلون أيديهم،بل أن بعضهم يعتبر التراب المنثور من حافر جواد الشيخ كحلا يكتحل به!!. (٢) وحينما نكون جيش نظامى للدولة العثمانية فى عهد "عثمان الأول" أخذ السلطان عددا كبيرا من الجيش إلى شيخ الطريقة البكتاشية،وكان ذلك من أجل الدعاء لهم.فما كان من شيخ الطريقة إلا أن وعظهم ببعض أمور دينهم، ودعى لهم بالنصر، وإعلاء كلمة الله – تعالى – على إيديهم فى شتى بقاع الأرض،ثم قال: ليكن اسمهم"بنى تشارى"- يكى جرى- المحرف بالعربية إلى كلمة إنكشارى. (٣) عرف فى دولة العثمانيين مايسمى بـ "سيف الدولة

---

(١) السلطان "عثمان الأول" قيل أنه اعتنق الإسلام بعد موت أبيه حينما رأى فى المنام"ملاكا" يبشره بأنه وذريته سيعلو قدرهم لاحترامهم،وانكر محمد فؤاد كوبريلى هذه الرواية.انظر: عبد العزيز الشناوى،مرجع سابق،ص٤٠.

(٢) Mustafa Kara.a-g-e.

(٣) كلمة "ينى تشارى" Yenicecri - معناها الجلد الجدد، أو الجيش الجديد.وهو الجيش النظامى العثمانى الذى بدأ فى عهد الأمير مراد الأول .وينقسم ابواء الإنكشارية – بنى تشارى – إلى ثلاث

العثمانيين" الذى أطلق عليه فيما بعد بسيف عثمان" [١] الموروث بداية عن " عثمان الأول" وكان من العادة تسلم هذا السيف من شيخ الطريقة "المولوية" بمسجد أبى أيوب الأنصارى. [٢] وكان تسليم هذا السيف يكون فى حشد عظيم من الناس واحتفالات كبيرة. [٣] تسلم هذا السيف سلاطين الدولة العثمانية واحد تلو الأخر من أول "عثمان الأول" عام ١٢٩٩ م إلى أخر خليفة عبد المجيد الثانى عام ١٩٢٢م.

أقسام رئيسية: القسم الأول: السكبان يعنى مدربى كلاب الجيش – القسم الثانى: وحدات الأغوات بمعنى وحدات القادة. القسم الثالث: الفرق العسكرية بمعنى الوحدات الأصلية للجيش. وكانت الإنكشارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبكتاشية التى تنسب إلى الشيخ "حاجى بكتاشى ولى"، وقد أضيف إلى لواء الإنكشارية بعد ذلك فرق الأعاجم وكان لواء الفرق العسكرية أهم قسم فى الجيش الإنكشارى العثمانى، وتم القضاء على الإنكشارية عام ١٨٢٦ م فى عهد السلطان محمود الثانى وهى تلك الواقعة التى سميت فى التاريخ العثمانى بالواقعة الخيرية. انظر: **Midhat settoglu Ocmanli Tarih Lugat, Istanbul,1980**

(١) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩١٢م، ط٣، ص٤١، ٤٢ .

(٢) أبو أيوب الأنصارى من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اشترك فى فتح القسطنطينية فى عهد معاوية بن أبى سفيان عام ٥١ هـ هو وعدد من الصحابة، وقبره ما يزال معروفا وموجودا فى الأناضول ومزارا للناس، وتوجد مراسم الدولة العثمانية لتقليد الحكم فى مسجده ،احتراما وتقديرا له. انظر: على حسون، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) عبد العزيز الشناوى، مرجع سابق، ج١، ص٨٤.

إن دل هذا على شئ فإنما يدل على مدى وجود أهل التكايا فى فكر، ووجدان الشعب عامتهم وخاصتهم، وحتى حكامهم أصحاب الكلمة الأولى.

فوجد "عثمان الأول يعتنق الإسلام فى يسر وسهولة وجعل الدين الإسلامى عقيدة رسمية للأتراك وآل عثمان. [١] وكان متحمسا لعقيدته الدينية، ويعمل بأقوال الفقهاء، والعلماء المسلمين وكان عدلا فى تصرفاته فى عصر ملئ بالعنف والظلم، وتتطلع إلى الإكثار من الزواج بأجنبيات للإكثار من عدد العثمانيين،واستخدام الرجال المغامرين فى الحروب والفتوحات الإسلامية من أجل إعلاء راية الإسلام.غير أنه توسعت فتوحاته،فقام بعمليات حربية بصفته أميرا فى خدمة السلطان السلجوقى المسلم "علاء الدين كيقبا". [٢]

---

(١) استطاع "عثمان الأول" بمشورة العلماء الأجلاء فى عهده أن يرسم الخطوط الأساسية لسياسة إمارته،وظهرت فلسفته فى لحكم عندما وصى لأبنه فى وصيته له بالانقياد إلى الشريعة الإسلامية،والعمل بها، والجهاد فى سبيل الله، وإقامة العدل بين الرعية،والعمل بمشورة العلماء،ومشورة أهل الرأى فى كل ما يهمهم من الأمور الخاصة بالدولة،واحترام العلماء وإعلاء كلمة الله وتعظيم أوامر الله.ومن هنا يتضح أن الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية كانت حياته مليئة بالجهاد أما التخطيط الإدارى والتنفيذ فى الإمارة كان موكلا إلى علماء الدين الذين كانوا مثلا أعلى للباطنة الحسنة.انظر: ماجدة مخلوف،الخلافة فى خطاب أتاتورك ،مركز بحوث آسيا،الزقازيق، ٢٠٠١م،ص٩، ١٠.وانظر: محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق،ص١٢.

(٢) استولى "عثمان" فى عهده على تبه الجزيرة الضيفة بين "نيقوميديا" والبحر الأسود وعلى الطريق المائى الموصل بين القسطنطينية و"بروسة" واستولى على جزيرة "كالوليمنى" الواقعة على بحر مرمرة.انظر: عبد العزيز الشناوى ج١ مرجع سابق،ص٤٢.

تولى عثمان الحكم وكان عمره ثلاثة وعشرين عاما،وكانت المساحة التى استولى عليها أبوه حوالى ٤٨٠٠٠ كيلو متر مربع [١] ومات "عثمان الأول" وترك المساحة التابعة لدولتهم ١٦٠٠٠ كيلو مترمربع [٢] وكان للمشايخ – أهل التكايا – الأثر الواضح فى الجماهير والسلاطين، وخضع خلفاء الدولة إلى الطرق الصوفية الذى كان له الأثر الواضح فى انتشار الإسلام فى آسيا الصغرى قبل وجود الحكم العثمانى بزمن مثل: النقشبندية والمولوية،والبكتاشية،وكان خضوع الحكام لأهل التكايا أكثر من الخضوع لعلماء الدين الرسميين،وكانت العاطفة الدينية ينميها هؤلاء المتصوفة عند هؤلاء الناس. [٣] وكان ذلك السبب علو همتهم وحلاوة لسانهم، وتمسكهم بدينهم، جعل الناس ينظرون إليهم نظرة حب وتقدير واحترام.اطلق شيخ الطريقة المولوية على حاكم الدولة العثمانية لقب "حامى حمى الحرمين". [٤] وذلك قبل لقب خليفة الذى اطلق

---

(١) محمد حرب العثمانيون فى التاريخ والحضارة،ص ١٠.

(٢) تمكن عثمان من ضم قلعة"قرة حصار" واستولى على "ازميد"و" وإزنبق" وحاصر مدينة "برصة"عشر سنوات،واستولى عليها ومنح لقب بك من حاكمها "إقرينوس".انظر: محمود شاكر،التاريخ الإسلامى العهد العثمانى ج٢ المكتب الإسلامى،بيروت ١٩٩٧ ص ٦١.

(٣) كارول بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية ،الأتراك والعثمانيون وحضارتهم،ترجمة نبيه فارس،ومنير البعلبكى دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٥٥ م ط٢ ،ص٤١ ،٤٢ .

(٤) اهتم العثمانيون بتعمير الحرمين الشريفين، والتوسعات التى لا بد منها،وعملوا على تأمين طرق الحجيج وإرسال الصرة السنوية لسكان الحرمين الشريفين،وأوقفوا أوقافا كبيرة للإنفاق على الحرمين الشريفين.انظر:ماجدة مخلوف، الخلافة فى خطاب أتاتورك،مرجع سابق،ص١٤.

عليهم فى القرن السادس عشر الميلادى.بجانب ذلك أهتم العثمانيون بإنشاء المساجد، وتنظيم الحج كان عن طريق أهل التكايا. [١].

ارتباط الأمير "أورخان" بالتكايا:

بعد وفاة "عثمان الأول" تولى ابنه "أورخان" عن وصية وصى بها أبوه له بالحكم، وذلك لأوصاف وجدها فى ابنه وهى: الشجاعة والفطانة، وعلو المنزلة لديه، ولم يعارض الابن الأكبر "علاء الدين" وصية أبيه، واكتفى بتدبير الأمور الداخلية، وتفرغ الأمير "أورخان" إلى الفتوحات الإسلامية. [٢].وبعد أن فتح الأمير "أورخان "مدينة "أزنيك" أنشأ بها عدد من المؤسسات التعليمية،وتكايا للفقراء،وجعل أكبر أولاده حاكما على المدينة وهو "سليمان باشا". [٣]

---

(١) محمد فريد،مرجع سابق،ص٤٢.

(٢) محمد فريد: مرجع سابق،ص٤١.

(٣) ضم الأمير "أورخان"إمارة "قرة سى"عام ١٣٣٦م، وفى عهده استولى أكبر أولاده "سليمان باشا" على "بوغاز الدردنيل"، واحتل ميناء" تزنب"واحتل العثمانيون مدينة "أسالا"،ومدينة "رودستو"وفتح "أورخان"مدينة "أزميد"،ودخل مدينة "أزنيك" بعد حصارها سنتين،وتوسع أورخان فى زيادة الجيش الإنكشارى،وأخذ عدد منهم لشيخ الطريقة المولوية للدعاء لهم، وصاحب فكرة هذا الجيش رجل يدعى"قرة خليل"حيث أخذ من أسر الحرب رجالا أقوياء،وفصلهم على بنى جنسهم،وظل يغرس فيهم صفات الدين الإسلامى وهم لا يعرفون أبا لهم إلا السلطان "أورخان" وليس لهم حرفة إلا الجهاد فى سبيل الله.انظر: محمد فريد،مرجع سابق،ص ٤٢ ، ٤٣،ومحمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة،ص ١٢ ،١٣ .

وارتبط هذا السلطان ارتباطا وثيقا بالشيخ "جايكلى بابا".[١]

وكان السلطان العثمانى – أورخان بك- يلح فى الطلب على شيخ التكية لكى يترك تكيته ويقم معه فى القصر- أى فى قصر السلطان أورخان – إلا أن الشيخ لم يوافقه على ذلك.

فكان السلطان دائما الذهاب إلى التكية،ويضطر إلى الذهاب إليها – رغم هموم السلطنة – لزيارة الشيخ، والنيل من علمه،وروحانيته وبركاته،وتذكر الروايات التاريخية أن "أورخان غازى" كان يرسل أفخر وأحسن الهدايا إلى تكية الشيخ "جايكلى بابا" إلا أنه لم يكن يقبلها.[٢] وكان الشيخ يذكر "لأورخان غازى"أنه ومريديه سعداء بالإقامة فى التكية،ولأن ورائهم أعمال ومصالح وهى زراعة الأراضى،واستصلاح الأراضى الخالية.[٣]

---

(١)"جايكلى بابا" ولد رحمه الله ببلدة "خوى"من بلاد العجم ثم ارتحل إلى بلاد الروم وحضر فتح "بروسا" مع السلطان "أورخان"راكبا الغزال وتوطن قريبا من مدينة "بروسا"ومات هناك ودفن بتلك الموضع وبنى السلطان "أورخان"على قبره قبة،وقبره فى "برو"بزار ويتبرك به. واشتهر بلقب الغزال لأنه كان دائما يركب الغزال وكان الغزال مسخرا له وبجوار قبر" جايكلى بابا"قبر أخر لأحد أولاد الأمير "كرميان ".قيل: لقد ترك الإمارة واتصل بخدمة الشيخ ونال عنده المراتب السنية.انظر: طاشكوبرى زاده: الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، تحقيق أحمد صبحى فرات،أستانبول، ١٤٠٥،ص١١.

(٢) Mastaf Kara,a-g-e-s.161

(٣) يجب هذا التنبيه لما قاله الشيخ:أن أصحاب التكايا كان لهم دور كبير فى الحياة الاجتماعية،والاقتصادية،وهو استصلاح الأراضى وزراعتها وعملهم الخاص وهذا ما تحدثنا عنه فى الجانب الاقتصادى للطريقة – آخية – إذن ليس العمل مقصورا على "أهل الفتوة" فقط،بل كل

ومن حب السلطان "أورخان" للعلم والعلماء تعلم العلم على أيدى كثير من علماء قصره مثل: علوم الحديث، والتفسير، وعلم التصوف، والعوم العصرية من رياضيات وغيرها.وأهتم "أورخان"بأهل التكايا فى جميع مناطق الأناضول،وأصبحت التكايا دورا للعلم والمريدين وللفقراء الذين يريدون أن يسدوا حاجتهم فى الحياة وخاصة التى اهتمت بالتدريس. (١)

اهتمامات السلطان "محمد الفاتح"بالتكايا والعلم:

لما ارتقى السلطان "محمد الفاتح" إلى عرش السلطنة قلد"سيف عثمان" من شيخ الطريقة المولوية"بيوك جلبى".واهتم السلطان بإنشاء المساجد الكثيرة فى عصره،والمكتبات المليئة بالعلوم الإسلامية،وألحق بالمساجد دورا للعمل مثل الأزهر الشريف. وكان للمساجد دور للفقهاء وطلاب العلم،وبنى مستشفيات خاصة للعلماء،وطلبة العلم فقط غير المستشفيات العامة، وهذا كله من حبه للعلم وأهله.وأنشأ مطاعم لخدمة أهل العلم، وخانات، وحمامات،وآبار للشرب،وكثيراً من أعمال الخير. (٢) لقد ناصر العلوم الإسلامية،وناصر أهل الشعر، وأغدقهم بالهدايا والهبات.

التكايا،وإن كان أهل التكايا،وإن كان أهل التكايا حرفيين وصناع وزراع يجب التنبه أنهم ليس عالة على المجتمع ينتظرون الهبات، والصدقات من السلاطين،ولكن هم أهل علم وعمل مما جعل السلطان والشعب ينظرون إليهم نظرة فاحصة كلها اهتمام وتقدير واحترام.

(١) محمد فريد بك: مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) كارول بروكلمان: مرجع سابق،ص٤٦.

ويقول فى حقه الإمام قطب الدين الحنفى:" صلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى:" آيا صوفيا" [١] وهى قبة تسامى قبة السماء، وتحاكى فى الاستحكام قبة الأزهر،وما وهت ولاهنت كبراً ولا هرما.كان أبراجها أبراج الأفلاك،ومسامير أبوابها نجوم السماء، مزق منها جلابيب الصلبان والأصنام،وخلع عليها خلع المساجد فى الإسلام،وأبدلهم الله – تعالى – عن الظلمات نوراً،وكساها بنور الإسلام، لازالت محلاً للصلاة والعبادة والاعتكاف،مقر الاستقرار فى قلوب العلماء، والأصفياء والزهاد فيها والعراف". [٢]

وقد أسس "محمد الفاتح" فى استانبول دوراً للعلم لها أساس راسخ وبنى بها المدارس،وجعلها كالجنان، واستجلب العلماء الكبار من أقاصى البلاد،وأنعم عليهم،وعطف بإحسانه لهم، وظهر سماحته لأهل التصوف الذين كانوا لهم الأثر الواضح فى حبه وتفضيلهم عنده. [٣]

---

(١) "آيا صوفيا" هى: من أكبر الكنائس التى كانت موجودة بالقسطنطينية – أستانبول حاليا- وحولها السلطان "محمد الفاتح إلى مسجد،وهى من أعظم كنائس الروم، عليها سور يطوف بها فكانت وحدها مدينة، وأبوابها ثلاثة عشر باباً، ولها حرم نحو ميل لا يمنع أحد من الدخول،وهى مسطحة بالرخام وفى وسطها ساقية تحوطها الأشجار منظمة على جانبى الساقية، وباب الكنيسة معرش م الخشب، مرتفع عليه العنب، وفى أسفلها الياسمين والرياحين وأكثرها من الخشب.انظر: ابن بطوطة،مرجع سابق ص٢١٢.

(٢) قطب الدين الحنفى، الأعلام،بدون دار نشر وبدون تاريخ،ص ١١٩ .

(٣) قطب الدين الحنفى،نفس المرجع،ص١١٨ ،١١٩ .

سمات القسطنطينية:

استولى السلطان "محمد الثانى" على أعظم وأكبر المدن التى ظل أجداده سنوات طويلة يحاربون من أجلها،ولم يستطع أحد النيل منها ألا وهى" مدينة القسطنطينية" [١] فجاء الفاتح وفتحها.وعرفت بأنها ذات موقع جغرافى عظيم،وهذا أهم ما تتسم به أى مدينة فى العالم وأول من استفاد منها المسلمون،حيث أصبحت مركزا تجارياً، واقتصاديا لخدمة الدولة العثمانية.

وأصبحت مركزا هاما لخدمة العلم وطلابه، وأصبحت القسطنطينية المعروفة الآن بـ "أستانبول"مركزا فكريا حضاريا فى العالم الإسلامى.وتوجد بالمدينة مساجد كثيرة على أحدث طراز معمارى إسلامى حضارى، وخاصة

---

(١) كان أمير "القسطنطينية"يدعى الإمبراطور "قسطنطين "التاسع فى بداية الفتح شيد السلطان "الفاتح"قلعة "روم أيلى حصار" على بعد كيلو مترات من أبواب القسطنطينية عند مضيق نقطة من " البوسفور" أصبح الإمبراطور عند علمه بذلك يبعث سفرائه إلى الفاتح "للاحتجاج ولكن أمر السلطان بقتلهم ليعلنهم الحرب.وحاصرها السلطان لمدة شهرين وهى صامدة فى وجه العثمانيين.وبالفعل استطاع العثمانيون عام ١٤٥٣ م بقيادة السلطان "محمد الفاتح" فتحها.وقتل إمبراطورها،وزهقت أنفس كثيرة.إلا أن السلطان تدخل وأوقف القتال بإصدار الأوامر إلى جيشه ثم دخل كنيسة "آيا صوفيا"وأخذها منهم عنوة، وأمر السلطان بإصدار الأذان لجعلها مسجدا وأمر بإقامة الصلاة فيها معلنا بأنها تكون مسجدا من اللحظة نفسها وارادت دول الغرب بهيمنتها وقوتها مساعدة الإمبراطور "قسطنطين التاسع" وخاصة الكنيسة فى أوربا ولكن ما اثبت هذه المؤامرات إلا بالفشل،إلا أن انتهى الأمر ووقع الذنب فى الشباك،واستولى العثمانيون عليها.انظر: كل من إسماعيل سر هنك،مرجع سابق،وعبد العزيز الشناوى،مرجع سابق،ج١،ص ٤٩ . وكارول بوركلمان ،مرجع سابق،ص٤١.

مسجد "آيا صوفيا" الذى تحول نهضة دراسية علمية بجانب الصلوات فيه، وإلقاء الخطب والمواعظ،حيث أنشأت أربع مآذن فوق هذا المسجد،وأصيفت ثلاث مآذن آخرى فى عهد سليم الثانى،ووجدت قبة عظيمة بالمسجد ومن أشهر المساجد التى تقوم بدور علم فى المدينة"مسجد السلمانية" المشهور بمعماره وروعته الفنية وغيرهم من المساجد . [١] وواصل "محمد الفاتح" فتوحاته الإسلامية [٢]،وقضى على الدولة البيزنطية،واستحق لقب الفاتح.

وخضع "محمد الفاتح" لنظام تربوى أثر فى حياته،وتعلم تحت إشراف علماء وشيوخ مشهورين أثروا فيه كليا وجزئياً. [٣]

تعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم اللسانية مثل: نحو – صرف – بلاغة – وعلوم التاريخ،والرياضيات،وعلم الفلك،وتعلم علم فنون الحرب نظرية وتطبيقه. وتعلم اللغات الإسلامية وهى:العربية والفارسية

---

(١) محمد فريد بك،مرجع سابق،ص ١٧٩ ، ١٨٥ .

(٢) فتح عام ١٤٥٣ م القسطنطينية ومن عام ١ م–١٤٥٣ م إلى ١٤٥٩ م فتح بلاد الصرب وعام ١٤٦٠م فتح بلاد المورة وفى عام ١٤٦٢ ضم بلاد الأفلاق وفى عام ١٤٦٣ بدأ بفتح بلاد ألبانيا،وفى عام ١٤٦٣ بدأ فى فتح بلاد البوسنة والهرسك إلى عام ١٤٦٥ م وفتح بلاد كثيرة إلى أن حارب المجر عام ١٤٧٦م . وضم الجزر اليونانية عام ١٤٧٩م .انظر: محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق،ص ٤٧ .

(٣) تعلم العلم سبب فى ثقل عقلية الفتح وحبه للصوفية ونجح العلماء فى تشكيل اتجاهاته الثقافية والسياسية والعسكرية.انظر: محمد حرب العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق،ص ٤٦.

والتركية. فضلا عن ذلك اللاتينية والصربية واليونانية،وللسلطان "محمد الفاتح" ديوان شعر منظم باللغة التركية. (١)

ومن الشيوخ الذين أثروا فى حياته "آق شمس الدين" (٢) حيث أهتم بالعلم وأهل الصوفية وأكثر من إنشاء المدارس،وتوالى السلاطين العثمانيون فى مقدمتهم "الفاتح" إلى جعل "أستانبول "مركز إشعاعا للعلم.وبفضل المعمار "سنان" (٣) وجعله رئيسا للبناء والتشييد وزادت المدارس إلى أن وصلت ٥٠٠ مدرسة فى القرن التاسع عشر. (٤)

---

(١) وله بيت شعر مشهور يقول فيه: نيتى هى الامتثال للأمر الإلهى جاهدوا فى سبيل الله
وحماسى إنما هو حماس فى سبيل دين الله
انظر: محمد حرب المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) كان "الفاتح" يجل الشيخ"آق شمس" لدرجة أنه قال عن شيخه هذا "إن احترامى لهذا الشيخ احترام يأخذ لمجامع نفسى وأنا ماثل فى حضرته مصطربا ويداى ترتعشان.وبين الشيخ له أنه هو المقصود بحديث الرسول (ص) :لتفتحن القسطنطينة فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش". انظر كل من: محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص ٤٦.وانظر مسند الإمام أحمد جـ ٤ ،ص ٥٣٢. وانظر: ماجدة مخلوف،مرجع سابق ص١١.

(٣)المعمار سنان يعتبر من أعظم وأبرز من كونتهم الثقافة الإسلامية العثمانية ولقب بكبير معمارى العالم ولد فى عام ١٤٩٠م فى ولاية قيصرية التابعة للأناضول،وأنضم للجيش الإنكشارى وتعلم الفنون التطبيقية واختار التجارة وتلقى العلوم على أيدى علماء متخصصين وعمل معماريا فى بناء الجوامع والحمامات وسبل المياه والخانات،واطلع على الإبداع المعمارى العراقى فى بغداد عند اشتراكه فى حملة السلطان سليمان القانون على العراق،وشاهد روائع المعمار اليونانى عندما اشترك فى فتح رودس، انظر: محمد حرب،العثمانيون فى التاريخ والحضارة،مرجع سابق،ص ١٥٨ ،١٥٩ .

(٤) Zaya Kazici,a-g-e-s.127.

السلطان "بايزيد الثانى" وحبه لأهل التكايا:

عرف السلطان "بايزيد"أحد سلاطين الدولة العثمانية بين أهله وعشيرته بـ "بايزيد الصوفى" لما عرف عنه من حبه لأهل التصوف،والذهاب باستمرار إليهم وحبه للعلم، وحبه للسلم. وكان رجلا ورعا تقيا كما وصفه الكثير من العلماء وكل من تحدث عنه من المؤرخين.

اتسم بصفات كثيرة وهى: البعد عن الكبر والغرور، وحب الناس أفضل شئ له. والأهم حبه للعلماء، والذهاب إليهم. وكان مداوما على الذهاب إلى التكايا باستمرار، والجلوس مع أهل الصوفية،حتى عرفه الجميع بتصوفه وروعته وأطلق عليه"بايزيد الصوفى" وهذا ما وجد فيه من صفاء نفسى ومن صفات تشبه أهل الصوفية. [١] اكتسب "بايزيد "لقب الصوفى من حبه للجلوس معهم ومودته واهتمامه بهم. ولم يكتف بتصوفه ولم يركن إلى العلم فقط، بل وسع من رقعة الدولة العثمانية وفتوحاته الكثيرة . [٢]

---

(١) محمد فريد ،مرجع سابق،ص ١٨٦ .انظر: Buyuk LUCAT Ve ansikl Opedi, Di , gecen eser,s.151

(٢) لم يكتف "بايزيد "بفتوحات من سبقوه من سلاطين،ولكن بجانب حبه للعلوم الأدبية اضطر لخوض حروب داخلية وخارجية،وحدثت علاقات فى عهده مع دول أوربا حيث وصل أول سفير إلى القسطنطينية عام ١٤٢٩ م – ٨٩٨ هـ"وعقد اتصالات ودية مع "بولونيا" وعقد معاهدة سنة ٨٩٦ هـ – ١٤٩٠م.انظر: على حسون،مرجع سابق،صـ ٤٢، وانظر: محمد فريد، مرجع سابق، ص ١٧٩ .

دور التكايا فى تأسيس الدولة العثمانية:

فى الصفحات السابقة تحدثنا عن الأوقاف، وأنه يتم الإنفاق على التكايا من الأوقاف غيرالمنقولة ومن الأراضى الموقوفة لها. ومن المعروف أن التكايا والتابعين لها كان لهم دور هام مؤثر عند تأسيس الإمبراطورية العثمانية.

ويشير بعض الباحثين إلى أن أهل التكايا فى العصور الأولى لتأسيس الدولة العثمانية كانوا دائما فى الصفوف الأولى للجيش أثناء الفتوحات التى قام بها العثمانيون،بل إنهم كانوا بمثابة المبشرين الذين يحملون العادات والتقاليد الدينية الإسلامية لكل الأقطار التى تم فتحها. (١)

وقد ظهر دراويش مناضلون بعد دخول الأتراك فى الإسلام وكانت مفاهيمهم وأفكارهم تتلخص فيما يلى:

"لتكن السماء حمية لوطن، ولتكن الأرض مصلى، وأن يصل صوت الأذان إلى كل مكان على وجه البسيطة – الأرض " من هذا المنطلق بدأ المسلمون منذ عام ١٤٧١م للدعاء لهم فى خطبة الجمعة. (٢)

وبدأ الإسلام ينتشر ويجوب فى أنحاء بقاع الأناضول وفى أواسط آسيا على أيدى كثير من الدراويش،وكانت الاستعانة بهم فى الفتوحات من توطيد ملك الدولة العثمانية.وبأهل التكايا استفاد العثمانيون من تقريب الناس إليهم

---

(١) Buyuk Iucat Ve Ansikl Cpedi ,adi, gecen ese.s.151.

(٢) Mustafa Kara,a-g-e. .

وتعليمهم مفهوم الدين الإسلامي، ومن منطلق هذه الفتوحات بدأ العثمانيون يستعينون بأهل التكايا فى أن يفهم الداخلون فى الدين الإسلامى الجديد هذا الدين، وتسود الحركة الافتتاحية لكثير من البلدان.

وكان لا بد للداخلين فى الدين الإسلامى أن يعملوا على حماية الدين، وحماية الوطن، واعتمد سلاطين الدولة على أهل التكايا فى كثير من الفتوحات فى أواسط آسيا، وفى أفريقيا،وفى آوربا،والاعتماد عليهم بالأخص داخل تركيا.

فظهرت روح أهل التكايا مع سلاطين الدولة، وحب الشعب لسلاطين الدولة من خلال الدراويش.وكانوا أحد دعائم بناء الدولة العثمانية وازدهارها داخل تركيا وخارجها من خلال تعاليمهم للناس سماحة الدينْ الإسلامى الجديد.

فظهرت التكايا بأدوار متعددة المجالات،سواء كان حضاريا أو اجتماعيا أو اقتصاديا بجانب الدور الدينى الثقافى الفعال.

فمن قبل العثمانيين نجح السلاجقة في تقديم فضائل الإسلام إلى العالم الإسلامى،وذلك عندما أسسوا دولتهم المعروفة تاريخيا باسم الدولة السلجوقية،كما نجحوا فى عمل منظومة حياتية مكتملة بمؤسسة الإقطاع،والمؤسسات الخيرية التى أسستها.[1]

(١) Mustafa Kara,a-g-e.

وعلاقة السلطان بالتصوف فى الدولة العثمانية كانت علاقة قوية بدأت من أول سلاطين الدولة "عثمان"،واستمرت من سلطان لآخر.

ومن قبل كان فى عهد السلاجقة، واستمرت بقوة فى عهد العثمانيين.ووجدنا أن السلطان العثمانى انتسب إلى طريقة صوفية، وكان الخليفة العثمانى كلما يجد الفرصة المناسبة له يذهب إلى التكايا ويجلس مع مشايخ الصوفية،وكان السلطان يظهر لهم كل احترام وتقدير.[١]

ولقد كان من أثر اهتمام السلاطين بالتكايا وأهلها أن تأثر الناس بالطرق الصوفية المنتشرة فى آسيا الصغرى وخاصة بالطريقة النقشبندية،والمولوية،والبكتاشية أكثر مما خضعت لعلماء الدين الرسميين فى البلاد.وكان لهم الأثر فى تهذيب العامة من الناس، وبعدهم عن مظاهر الانحطاط والرقى بهم.[٢]

---

(١) كارول بروكلمان،مرجع سابق،ص ١٠٤ .

(٢) لقد لقب مفتى استانبول بلقب "شيخ الإسلام" وكانت سلطته نظرية بالكلية،فكان يفتى فيما يرفع إليه من المسائل القضائية وكان لا يملك القوى على إنفاذ فتواه، ولكن فى عهد محمد الثانى، وسليم الأول كان له الرأى كاملا وينفذ الفتوى التى يصدرها، وكان بعض السلاطين يؤيدون سلطته مع استغلالها أسوأ استغلال مثل:سليم الأول، حيث أصدر فتوى تبيح ما لا يجوز عرفا لأنه أصدر فتوى تبيح حرب المسلمين في مصر.وفى عهد سليم الثانى اصدر فتوى عام ١٥٧٠م من الشيخ أبى السعود المفتى فى ذلك الوقت تبيح هذه الفتوى ما يلى: يجوز الإخلال بشروط السلم، ويجوز العدوان ضد "البندقية" عند بداية الحرب القبرصية،وإصدار فتوى تبيح ما لايجوز عرفا، والمهم أن الإعداد للمناصب الدينية وفقا لتقاليد يوجد فى مرسوم خاص.انظر: كارول بروكلمان،مرجع سابق،ص ١٠١، ١٠٣ .

وظهر شئ واضح فى أهل التكايا يميزهم عن علماء الدين الرسميين فى البلاد حيث ابتعد أهل التكايا عن مسايرة هوى السلطان فى بعض الأمور. وما حدث من أمور من مفتى "دار استانبول" جعلت الشعب لا ينظر إلى العلماء الكبار بنظرة وقار عكس نظرة الاحترام والتقدير لأهل التكايا التى ينظرهم لهم عامة الناس.

المبحث الثانى
التكايا والحياة التعليمية

العلاقة بين المدرسة والتكية:

كانت الحياة العلمية فى العهود الأولى مرتبطة ارتباطا وثيقا بدار العبادة،حيث كان العلم لا يتجزأ من حياة التقوى والزهد.وعلى هذا المبدأ تربى الصحابة الكرام،فقد كان العلم عندهم غذاء للعقل والقلب، وذلك من خلال المبادئ التى كانت متبعة حنيئذ فى التربية والتعليم.وعلى نفس النهج سار التابعون،فقد اتبعوا نفس الأصول فى تعليمهم.أى ربط التعليم بالدين وبدار العبادة – ولنا فى ذلك خير شاهد وهم العلماء الكبار الذين نبغوا فى علوم الحديث والتفسير،بل أن علماء ذلك العهد كانوا لا يتخيلون الحياة العلمية بدون تقوى وزهد.وقد وجدت تشاطات علمية لمؤسسات الدولة فى الأوقاف الطارئة مثل:الحروب وغيرها يرتبط ارتباطا كبيرا بدور العبادة والمشايخ المتصوفة.(١)

فأهل العلوم يتجهون إلى العقل، أما المشايخ المتصوفة فيتجهون إلى روح المجتمع،وبالتالى يمثل الاثنان كيان قويا يستطيع أن يواجه احتياجات المجتمع.وفى بعض الأحايين كانت تحدث بعض الانتقادات بين كلا الفريقين

---

(١) Mustafa Kara,a-g-e.s.79

العلماء والمتصوفة،ولكن كل فرقة كانت تقابل انتقادات الفرقة الأخرى بالاحترام،وكان الفاصل بينهما الكتاب والسنة.[١]

ولننظر إلى مقولة الإمام مالك وهو يقول:" الذى يتوجه إلى التصوف دون علم بالفقه فهو زنديق، والذى يتجه إلى الفقه دون العلم بالتصوف فهو فاسق،أما من يرتبط بين الاثنين فقد وصل إلى الحقيقة".

نجد الإمام مالك – رضى الله عنه – يبين مغزى قوى ومفهوم ولا بد أن يعقله كل من يلجأ إلى التصوف ألا وهو التفقه فى الدين.

ويقول الإمام أبو يزيد البسطامى:" كنت سأدعوا الله أن يخلصنى من كلفة الطعام – أى أصوم دائما – وأن يخلصنى من النساء- أى اعتزل النساء – ولكنى فكرت فى الأمر، فوجدت أن الرسول(ﷺ) لم يفعل ذلك، وتخليت عن ذلك على الفور".[٢]

---

(١) Yusuf akcura, Turk Yurdu mecmuasi,11,727.(1334).s.266.

(٢) استاق البسطامى ما قاله من حديث الرسول(ﷺ) لثلاثة نفر جاءوا إلى الرسول(ﷺ) ولما عرفوا عبادت(ﷺ) فكأنهم تقالوها.فقال أحدهم :أنا أصوم الدهر كله ولا أفطر وقال الثانى:وأنا أعتزل النساء.وقال الثالث: وأنا أقوم الليل كله.فلما علم الرسول (ﷺ)حال هؤلاء قال: أنا أصوم وأفطر وأقوم وأقعد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى "هذا يوضح عدم ابتعاد الدين عن الدنيا بل هما حيز واحد .انظر: البخارى،ومسلم،فى صحيحيهما..

ويقول أبو سليمان الدارنى :" وكنت أشعر أحيانا ببعض الأحاسيس الصوفية فى داخلى، وقد قررت فى نفسى بأننى لن أقبل أى شهادة لا تعتمد على الكتاب والسنة".

ويقول أبو حمزة البغدادى:" لا يوجد طريق قط يتوافق مع طريق الله سواء فى القول، أو فى العمل سوى طريق الرسول (ﷺ).

ويقول ذو النون المصرى:" يجب أن يكون الشخص الذى يحب الله تابعا لمحبة الله. ولننظر إلى المتصوف"سرى الساقطى "عندما دعا لمريديه حينئذ قائلاً:" لن أدعوا لك بأن تكون صوفيا محدثاً،بل أدعو لك بأن تكون محدثا صوفياً". بمعنى أن يكون التفقه والعلم قبل الدخول فى الصوفية،لأن الصوفية أساسها العلم.

ومن هنا يتبين لى أننى أرى فائدة من ذكر آراء بعض المتصوفة الأوائل المتعلقة بالكتاب والسنة.

ويقول أبو على الجرجانى:" يجب أن يعلم كل شخص أن خير الطرق إلى الله وأبعدها عن الشبهات هى إتباع سنة المصطفى (ﷺ).

ويقول نجم الدين الكبرى:" أن الشخص الذى يترك أى فرض من الفروض،أو سنة من السنن فلا تصدقوا دعواه فإنه كذاب، حتى لو رأيتموه

يبلع النار أو يمشى على الماء،أو يطير فى الهواء،فكل هذه الأشياء ليست فيها كرامات".[١]

هذه الآراء من التكايا وأهلها، ذكرها مصطفى كارة، أحد المؤلفين الأتراك مستشهدا بكلامهم فى كتابه.

بعد العرض السابق لكل هؤلاء العلماء الأجلاء عن حقيقة مفهوم الصوفى المتفقة العالم نجدها ملخصة فى شئ واحد كلهم اتفقوا عليه وهو العمل بالكتاب والسنة، وفهمها فهما صحيحا، ويجب على الصوفى أن يعمل بما يقول، ولا يحدث إلا إذا كان عالما بالشئ ومتفقها بالعلوم الشرعية كبيرها وصغيرها،والبعد عن البدع والخرافات.

وليست الصوفية عند أهل التكايا لبس جلباب معين، ولا إيجاد شئ ليس معلوما من الدين، وهى إحساس داخلى لا يشعر به عامة الناس،وإن أحس خاصتهم يجب أن يلتزموا بالكتاب والسنة.

الشيخ عرف عنه لا بد أن يكون عالما بالشرع، والحقيقة، والطريقة، وعالما بالقرآن والسنة وعاملاً بهما لكى يقتدى به؛ للتفرقة بين المدرسة والتكية لا بد للتعرض لتعريف المدرسة وماهيتها.[٢]

---

(١) Mustafa Kara,a-g-e.s.82.

(٢) Mustafa Kara,a-g-e.

المدرسة فى اللغة: تأتى بمعنى البناء الذى يجلس فيه الطلاب ويتناولون فيه الدرس، أو هى مكان للدرس وجمعها مدارس. ويطلق اسم مدرس على الأساتذة الذين يلقون الدرس للطلاب فى المدارس. (١)

إن فعاليات التعليم لها أهمية كبرى فى المجتمع الإسلامى فقد روى عن رسول الله(ﷺ) أنه قال "إن الله أرسلنى معلماً".

وبالتطرق إلى القرآن الكريم فقد اتضح أن الرسول(ﷺ) وظيفته هى التعليم.

قال تعالى:" ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم". فى الحقيقة توجد آيات كثيرة فى القرآن الكريم تتحدث عن العلم،وتحث على البحث والدراسة.

إن إحدى الخصائص التى تلفت الانتباه فى هذه الآيات هى نزول جزء كبير منها قبل الهجرة- هجرة الرسول-(ﷺ) أى قبل مجئ الرسول (ﷺ)إلى المدينة.

وتوجد فائدة فى إيضاح القرآن الكريم للعلم والبحث والدرس ومن هذه الآيات قال تعالى:"قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون". (٢)

---

(١) Zaya Kazici,a-g-e.

(٢) سورة الزمر:آية ٩.

وقال تعالى:" وقل ربى زدنى علماً".[١]

وقال تعالى:" واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".[٢]

وقال تعالى:" ن. والقلم وما يسطرون".[٣]

فقد اتضح من خلال الآيات السابقة الحث على العلم.وزادت الجهود فى العالم الإسلامى من أجل التعليم قبل وجود المدارس،لكن كانت أماكن العلم مختلفة مثل الجوامع الكثيرة،ودور العلم والدراسة وغير ذلك.[٤] ولمعرفة الدين الإسلامى الحنيفي ونشره فى البلاد التى فتحها المسلمون فكان لا بد من وجود مؤسسات وأناسٌ من شأنهم تعليم مبادئ الدين الإساسية وحقائقه.[٥]

---

(١) سورة طه:آية ١١٤.

(٢) سورة النحل:آية ٤٣.

(٣)سورة القلم:آية ١.

(٤) Zaya Kazici,a-g-e-s.125.

(٥) تم تشييد أول مدرسة فى العالم الإسلامى فى "نيسابور"تحت مسمى "النظامية"فى عهد السلطان "ألب رسلان" وابنه الملك "شاه"وألقى السلطان "ألب أرسلان "أساسها وقواعدها عند حافة دجلة عام ٤٥٧هـ - ١٢٤٦م" وقد أنفق عليها مائة دينار وشيدت بعد عامين، وبدأت بها الدراسة بعد ذلك وتم استدعاء العالم "أبى إسحاق الشيرازى"ليدرس بهذه المدرسة .وبعد إنشاء المدارس النظامية فقد تم اتخاذها كنموذج لتأسيس المدارس.

انظر: Zaya Kazici,a-g-e.

إن العثمانيين قد أعطوا قيمة للتعليم بالمدارس والعلم ولرجال هذا الميدان أيضاً. وعملوا على إزالة كل ما يعوقهم ويواجههم فى مسألة تحصيل العلم وذلك بقدر المستطاع فى أيام حكمهم وكان يتم التعليم بالمدرسة عند العثمانيين فى ظل الأوقاف.

وأنشأ العثمانيون أول مدرسة فى "إيزنيك"- Iznik - عام " ٧٣١هـ - ١٣٣٠م" فى عهد السلطان "أورخان"وبعد إنشاء المدرسة الأولى هذه فقد تم البدء فى افتتاح المدارس وفرقها العلمية فى جميع الديار الإسلامية. (١)

أوجه الإتفاق بين المدرسة والتكية:

تتفق المدرسة والتكية من وجوه منها:

١-وحدة المكان والمقصود: وجود مكان محدد لكل منهما يلقى فيه العلم.

٢-اتحادهما فى الأمور المعمارية، فلم يقتصر الأمر على اتحادهما فى الأفكار، والأمور العلمية، بل فى الأخذ بمراتب العلم فكلاهما قد يكون موجودا فى مكان واحد، وتحت سقف واحد، وتحت إدارة واحدة، حيث يقوم الطلاب، ورجال العلم بتحصيل علومهم ودروسهم فى أبنية المدارس بعد أن يكون قد وفروا كل احتياجاتهم من " الخانقات" أو "الرباط" أو التكية" وأحياناً كانوا يستفيدون من المكتبات الفنية الموجودة فى تلك التكايا بشرط: أن يكون هذا الأمر موجوداً فى الوقفية الخاصة بهذه المكتبة.

---

(١) Zaya Kazici,a-g-e.s.126.

وتوجد الآن أبنية فى تركيا كثيرة يدرس بها الآن،وعرف عنها أنها كانت زواية أو تكية قديماً. (١)

وكان يطلق المصريون قديما على المدارس لفظ التكايا، وعلى المدرسين لفظ المشايخ، أما فى إيران فيطلقون على المدارس لفظ الزوايا. (٢)

والمصدر الأساسى الذى يوجه فكر وحياة المتصوفة هو الشيخ ووصاياه التى يدونها فى كتبه ورسائله. (٣)

٣-كانت العلوم الصوفية تدرس جنباً إلى جنب مع الدروس الفقهية فى المدرسة الإلزامية والمدرسة الجمالية فى القاهرة. (٤)

وكان المدرس الذى يقوم بتدريس الفقه فى المدرسة الجمالية هو الذى يقوم بتدريس التصوف. (٥)

---

(١) mstafa kara-a-g-e.s/81

(٢) ويذكر أولياجلبى عند زيارته لإيران وحينما وصل قلعة "نهاوند"وجد بها سبع مدارس وست تكايا وسبعين مسجدا، ووجد فى القرى المجاورة للقلعة تكايا كثيرة للسنيين.انظر: أحمد الهوارى،أولياجلبى ورحلته فى الأناضول وايران والعراق،ص ٢١٧.

(٣)فمن صفات الشيخ أن يكون قائما على علم الله،ولا شاغل له إلا الله وحده. انظر: رينولد نيكسون:التصوف الإسلامى وتاريخه،ترجمة أبو العلا العفيفى .ط عام ١٩٦٩م، ص٣٣ ومن صفات الشيخ أن يكون حافظا للقرآن الكريم،وعالما بالسنة الصحيحة.انظر:الإمام القشيرى،مرجع سابق،ص٣٢.

(٤) المقريزى: مرجع سابق،ص ٢١٦.

(٥) فقد وجدت "خانقاة" - تكية - فى مدرسة "جاى"مما يدل على أن التكية لها علاقة وثيقة بالمدرسة.انظر: Mustafa kara,a-g-e.

وعلى هذا نرى توحداً بين المدرسة والتكية ليس فى الأفكار والآراء فحسب، بل فى المكان أيضاً، وقد استمر الوضع على هذا المنوال حتى القرن العاشر الميلادى،حيث كان هذا القرن هو بداية ظهور الطرق الصوفية المختلفة وظهور مشايخ وأولياء كثيرين، إلا أن هذا الامتزاج الكبير بين المدرسة والتكية لم يتضح فى الطريقة لاختلافات فكرية كبيرة. (١)

---

(١) وجد خلاف حول الفكر الصوفى وانتقادات من علماء الإسلام ومنهم :ابن القيم الجوزية،وابن تيمية وذكرا المضرات التى ستنتج عن تأسيس التكايا وشأن أهلها ويمكننا ذكر بعض الانتقادات التى وجهها كلا الشيخين إلى الفكر الصوفى وهى على ما يلى:

١- لا توجد علاقة قط ببعض سلوك المتصوفة تتصل بكتاب الله وسنة نبيه(ص) وعلى سبيل المثال:الزواج السنة يتركه المتصوفون.وذلك لانه يجب على المريد منهم ان يكون فى خدمة الجماعة.وينقد الشيخان المتصوفة بقولهم: إن تحصيل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فإن المتصوفين يعتبرونه شئ بسيط ويعطون أهمية كبرى للانكشاف والإلهام.

٢- يوجد أناس كثيرون من الفكر الصوفى يعتمدون على أسس واعتقادات لايمكن: إثباتها بالكتاب والسنة، وتستد على وجود شخصيات معنوية لها أثر فى حياتهم ويعتقدون انها تدير العالم.

٣- فلسفة وحدة الوجود فى الفكر الصوفى مخالفة تماما لاسس الدين الاسلامى الحنيف.

٤- لا توجد علاقة بين الولى،وبين التوكل الذى جعلوه سمة لهم.

٥- لا يستطيع أى شخص أن يدعى وجود بعض سلوك الصوفية الموجودة بينهم أنه كان موجود فى عهد النبى(ﷺ)كالدوران والرقص.انظر: فتاوى ابن تيمية.نقول: ماقاله ابن تيمية ليس من الصحيح فى شئ لأن الصوفى يتزوج على سنة الرسول(ﷺ)كما فى حديث البسطامى شيخ من شيوخ المتصوفة. وما قاله عن فلسفة وحدة الوجود هذه الفكرة قال عنها الشيخ رشيد: أنها أخذت من قدماء الهنود وأهل الصين واليونان.انظر: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مجلد ٢٢ ،ص ١٧٦ .أن ما يقوله ابن تيمية

وظهرت ألقاب كثيرة لأهل الصوفية مثل القطب، والغوث، والأوتاد، والأبدال، كانت محل نظر وجدل فى المعنيين بالتصوف. [١] كانت التكايا فى عهد العثمانيين تخاطب مجموعات كبيرة أكبر بكثير من المدرسة فى نفس الوقت التى كانت المدرسة تكمل فيه التكية.

ويذكر بعض مثقفى الأتراك أن الشعب التركى أظهر ميلا ورغبة للمدرسة والتكية لما رأوا فيهما من مسامحه وفسلفة تعتمد على صداقة الإنسان. ومن هنا يتضح الاعتقاد الخاطئ القائل بأنه قد ظهرت نزعات بين المدرسة وبين التكية، والدليل على ذلك أن معظم مشايخ التكايا تلقوا تعليمهم

عن أهل التكايا والمتصوفين ليس من الحق عليهم لأن من يفعل ذلك ليس صوفيا حق بل يزعم التصوف.

(١) القطب والغوث بمعنى واحد ومعناه: هو سيد الجماعة فى زمانه، وهو من يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام.

- الأوتاد: هم أربعة فى كل زمان ولا يزيدون، ولا ينقصون الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وهو ولى فيه، والثانى يحفظ به المغرب، والثالث يحفظ الله به الشمال، والرابع يحفظ الله به الجنوب.
- والأبدال: هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته، الواحد فيهم على قدم الخليل عليه السلام وله الأقليم الأول، والثانى على قدم الكليم موسى عليه السلام، والثالث على قدم هارون عليه السلام، والرابع على قدم إدريس عليه السلام، والخامس على قدم يوسف عليه السلام، والسادس على قدم عيسى عليه السلام، والسابع على قدم آدم عليهم السلام. وسموا بذلك لأن الواحد منهم إذا فارق مكان ترك واحدا آخر بدلا منه على صورته لايشك فيه أحد وهو شخص روحانى. انظر: محى الدين بن عربى، الفتوحات المكية، تحقق عثمان يحيى. الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة جـ ١١، عام ١٩٧٤ م، ص ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

فى المدارس،وكلهم كانوا مدرسين.وفى نفس الأمر من كان يدرس فى هذه المدارس مشايخ من التكايا. (١)

فى نهاية الأمر نستطيع أن نقول أن الشعب التركى اكتسب التربية الدينية، والاجتماعية والإحساس بالوحدة بين أفراد الشعب بواسطة الطرق الصوفية عبر التكايا والزوايا.

(١) Mustafa kara.a-g-e.

المبحث الثالث
مشايخ الإسلام والتكايا

إن شيخ الإسلام، أو مشايخ الإسلام كانت لهم مؤسسة هامة جداً.وهى ذات تأثير قوى هام بالفتوى،التى أصدرتها مؤسسة شيخ الإسلام عن التصوف والطرق.ونريد أن نلقى نظرة بسيطة عن تلك المسألة وهى: أن معظم فتاوى مشايخ الإسلام الذين تولوا هذا المنصب كانت تساند المتصوفة.ولأهمية هذا المنصب فقد كان"أورخان بك" - ثانى سلاطين العثمانيين - يكلف شيخ الإسلام بمراقبة المنتسبين للطرق الباطلة ذات الاعتقادات الفاسدة،بل أنه كان يقوم بمجازة من يثبت إدانته منهم. (١)

وكان السلطان نفسه يعاقب شيخ الإسلام إذا هاجم الطرق الصوفية المعتدلة المشهورة. ومن ذلك أنه قام بعزل شيخ الإسلام الشيخ"محى الدين محمد أفندى" المعروف "بجوى ذادة" لأنه كان يهاجم أهل التصوف،وخاصة لما هاجم مولانا "جلال الدين الرومى"، و"محى الدين ابن عربى".

وظهر كثير من مشايخ الإسلام فى الدولة العثمانية يقفون دائماً بالمرصاد للطرق الصوفية وقليل من هؤلاء المشايخ من كان يساند الطرق، ويقف بجانبها،ومن هؤلاء شيخ الإسلام"زنبللى على أفندى"ت ١٥٠٣ م.الذى كان

---

(١) ismail hack vzun carsil osmanl tarihi ,c.1.351Ankara,1972.s.221.

دائماً يقف بجوار الطرق الصوفية وله رسالتان أحدهما:منظومة والأخرى،منثورة كلاهما تساند التكايا بشكل كبير. (١)

وظهر شيخ الإسلام "رفيق أفندى" الذى قضى فترة من حياته فى الشام قبل أن يتولى هذا المنصب، وقام بتأليف عدة دراسات عن"ابن عربى" ثم انتسب للشيخ "عبد الفتاح أفندى" شيخ الطريقة النقشبندية حينئذ.

ويعد الشيخ"رفيق أفندى" أول مؤسس لمؤسسة مجلس المشايخ.ومن المشايخ الذين كان لهم علاقة كبيرة بالطرق الصوفية شيخ الإسلام "عبد المنصف نسيب أفندى" تـ ١١٥١ م. (٢)

---

(١) "جوى زاده " هو محى الدين شيخ محمد بان إلياس المشتهر بـ" جوى زادة"عمل مدرسا بمدرسة أمير الأمراء بمدينة أدرنة،ثم مدرسا بمدرسة أحمد باشا بمدينة برومية ثم مدرس بمدرسة الوزير محمود باشا بمدينة استانبول وعمل قاضيا ثم مفتيا بمدينة استانبول." زنبلى على أفندى " هو علاء الدين على بن احمد بن محمد الجمالى يعمل مدرسا بسلطانية بروصة تولى منصب الفتوة من السلطان "محمد خان" وكان يقضى جميع اوقاته فى التلاوة والعبادة والدرس والفتوى وكان له الكلمةالأولى عند السلطان "سليم خان" ومنهم ان السلطان امربقتل مائة وخمسون رجلا لا يجوز = فتلهم شرعاً فبعث" زنبلى على أفندى" بأن ما يفعله مضيع للشرع وللآخرة لأنهم لا يستحقون القتل، وأخذ السلطان بكلامه وعفا عنهم.انظر: الشقائق النعمانية،طاشكوبرى زادة،مرجع سابق،ص٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٤٤٦.

(٢) طاشكوبرى زادة، الشقائق النعمانية،مرجع سابق،ص ٤٤٧.